سلسلة محاضرات البحر الأحمر

كراسة رقم (٤)

سياسة فرنسا واستراتيجيتها في البحر الأحمر

إبان عهد الحملة الفرنسية على مصر

أ.د أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس

الطبعة الأولى ٢٠٢٤م

سلسلة محاضرات البحر الأحمر

كراسة رقم (4)

سـياسة فرنسـا واسـتراتيجيتها فـي البحـر الأحمـر

إبان عهد الحملة الفرنسية على مصر

أ.د أشـرف محـمد عبد الرحمن مـؤنس

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية التربية - جامعة عين شمس

وأمين لجنة الترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات (لجنة التاريخ)

الطبعة الأولى

2024م

اسم الكتاب

سـياسة فرنسـا واسـتراتيجيتها فـي البحـر الأحمـر

إبان عهد الحملة الفرنسية على مصر

المؤلف

أ.د أشـرف محـمد عبد الرحمن مـؤنس

الإيداع القانوني

...../2024م

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 121566207 - 00249122094856
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:
الطبعة الأولى – 2024م
جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر

تقديم

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

القارئ الكريم نحمد الله تعالى على مننه وفضله وتوفيقه فإن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان وفي إطار أنشطته العلمية والفكرية الرصينة نفذ عدداً من المحاضرات والندوات العلمية المختلفة التي تناولت قضايا البحر الأحمر من زوايا مختلفة من قبل مفكرين وأكاديميين وباحثين مرموقين لهم إسهاماتهم العلمية والفكرية الواضحة في هذا المضمار ، ولأهمية هذه المحاضرات التي تشكل في تقديرنا نتاج جهود وزبدة أفكار هؤلاء العلماء عن البحر الأحمر رأت اللجنة العلمية بالمركز نشرها وتوثيقها في سلسلة أوراق علمية تحمل اسم سلسلة محاضرات البحر الأحمر وذلك حتى تعم الفائدة على الجميع.

وختاماً نسأل الله تعالى أن تفي هذه السلسلة بالغرض والهدف المطلوب وسوف تنشر تباعاً إن شاء الله، والكراسة الرابعة من هذه السلسلة محاضرة قدمها الأستاذ الدكتور/ أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية التربية - جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية، وقدمت ضمن سلسلة المحاضرات عن دول حوض البحر الأحمر.

مقدمة

تعد منطقة البحر الأحمر من أهم المناطق التي تستقطب الأنظار في عالمنا المعاصر، ليس بسبب موقعها كهمزة وصل بين الشرق والغرب فحسب، وإنما بسبب قربها من مواقع الأحداث السياسية في عالمنا المعاصر ، لقد اكتسب البحر الأحمر أهميته الاستراتيجية في السياسة الدولية من موقعه الجغرافي المتميز ؛حيث شكل بموقعه المتوسط بين بحار العالم حلقة الوصل بين البحار الشرقية و البحار الغربية بصفة عامة ، و البحر المتوسط والمحيط الهندي بصفة خاصة ، كما أن موقعه في قلب العالم جعله نقطة التقاء بين قارات العالم قديماً وحديثاً ، وبالتالي أصبح البحر الأحمر شرياناً حيوياً للمواصلات بين الشرق والغرب ، ومن يتحكم في هذا البحر يصبح له اليد العليا في السياسة الدولية .

وتعد الحملة الفرنسية على مصر واحدة من أهم المنعطفات الحادة في تاريخ البحر الأحمر؛ وذلك لأنها قلبت الموازين الدولية الاستراتيجية في المنطقة ، ونبهت الدول الأوروبية إلى أهمية ذلك البحر الذي فقد أهميته لفترة من الزمن ، وصارت تلك الدول تنظر إليه باهتمام شديد، كمعبر مهم بين الشرق والغرب ، يمكن لأي قوة تستطيع أن تسيطر على بعض مراكزه ، أن تنشئ لها نفوذاً و مصالح واسعة حول البحر الأحمر و خارجه.

لقد أعادت الحملة الفرنسية اكتشاف منطقة البحر الأحمر كمنطقة ذات أهمية إستراتيجية كبري للقوى العظمى، و ألقت الضوء على هذه المنطقة ، بل يمكن القول إن هذه الحملة قد ابتدأت حقبة من الصراع الاستعماري بين فرنسا و بريطانيا في مصر و البحر الأحمر شجعت كلا الطرفين

على تبني سياسات معينة إزاء تدعيم نفوذها في المنطقة واستمرت هذه السياسات – تقريباً – طوال القرن التاسع عشر الميلادي .

وقد جذبت منطقة البحر الأحمر اهتمام الباحثين و المؤرخين على مر العصور ، ولهذا عُقدت ندوتين كبيرتين حول البحر الأحمر .

أولاهما الندوة التي عُقدت عام 1979م ، وقد دعا إليها سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس بعنوان « البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة » وقد تضمنت هذه الندوة أبحاثاً كثيرة حول البحر الأحمر، وصل عددها أكثر من أربعة وثلاثين بحثًا شملت كل فروع التاريخ بصفة عامة ، ومنها خمس وعشرون بحثًا في التاريخ الحديث و المعاصر بصفة خاصة .

أما الندوة الثانية فقد عقدت بعد أربع و عشرين عامًا من الندوة الأولى، ففي أكتوبر عام 2003 م عقد اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة ندوة بعنوان « البحر الأحمر عبر العصور » وقد حضرها لفيف من الباحثين والمؤرخين من مصر ومختلف البلاد العربية ، وقُدمت فيها أبحاث كثيرة عن البحر الأحمر في التاريخ القديم و الوسيط والحديث .

وعلى الرغم من أهمية الندوتين ، لم يتطرق أحد من الباحثين والمؤرخين إلى دراسة موضوع « سياسة فرنسا واستراتيجيتها في البحر الأحمر إبان عهد الحملة الفرنسية على مصر » ولهذا وجد الباحث أن هذا الموضوع يستحق الدراسة .

وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي قضتها الحملة الفرنسية في مصر ومنطقة البحر الأحمر – حوالي ثلاث سنوات – غير أن هذه المدة شهدت

الكثير من الأحداث والاستراتيجيات التي تبنتها كل من فرنسا وبريطانيا ، ويمكن تقسيم هذه الفترة الزمنية إلى ثلاث مراحل :

الأولى : مرحلة التفكير Thinking Stage: أي تفكير السلطات الفرنسية في كيفية توجيه ضربة قاضية لبريطانيا ، وتمتد هذه المرحلة من عام 1798م إلى عام 1801م ، وشهدت هذه المرحلة التطلعات الفرنسية إلى مصر و منطقة البحر الأحمر .

الثانية : مرحلة التنفيذ Implementation Stage: وتقع هذه المرحلة إبان عام 1798 م بين شهري أبريل ويونيو ، أي منذ اتخاذ الحكومة الفرنسية قراراً بوضع جيش الشرق تحت قيادة الجنرال بونابرت ، وحتى وصول الحملة الفرنسية إلى الشواطئ المصرية من العام المذكور أعلاه .و على الرغم من قصر الفترة الزمنية لهذه المرحلة تبنت فرنسا كثيراً من السياسات والاستراتيجيات.

الثالثة : مرحلة رد الفعل Reaction Stage: وتمتد هذه المرحلة من عام 1798 م إلى عام 1801 م ، أي منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ومنطقة البحر الأحمر، وحتى جلاء الحملة ، وشهد ت هذه المرحلة ردود الفعل البريطانية والإجراءات التي اتخذتها لمواجهة الخطر الفرنسي.

ومن الجدير بالذكر ، أن عرض تفصيلات الحملة الفرنسية على مصر ليست الهدف من هذا البحث، فإن الذي يعنينا منها هو استعراض السياسة الفرنسية في منطقة البحر الأحمر- في ذلك الوقت- بما يخدم موضوع البحث فحسب .

أولاً: مرحلة التفكير:

قد أكدت الوثائق الفرنسية أنه لم يكن هناك صراع وتنافس بريطاني فرنسي واضح المعالم حول منطقة البحر الأحمر قبل مجيء الحملة الفرنسية على مصر ، وإنما الصراع بين الدولتين كان حول طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الهندي، وكذلك بعض المناطق المهمة في الخليج العربي [1]. على الرغم من ذلك كانت هناك تطلعات فرنسية حول مصر ومنطقة البحر الأحمر قُبيل مجيء الحملة الفرنسية على مصر ببضع سنوات .

ففي عام 1795م حدثت عدة دلائل ومؤشرات تؤكد ذلك، ففي أكتوبر من العام المذكور أوفدت فرنسا إلى القاهرة ديبيوس –ثانفيل **Dubois-Thanville** في بعثة تجارية؛ ليسعى لدى الأمراء المماليك للإذن بقيام تجارة منظمة بين الهند والسويس [2]. وعقد معاهدات تجارية بين مصر وفرنسا [3] .

وهذه البعثات وإن كانت أهدافها تجارية ، إلا أنها فيما يبدو كانت تعمل لأغراض أبعد من ذلك ، تمثلت في دراسة الوسائل التي يمكن أن تحقق غزو الفرنسيين لمصر ، وتحكمهم في طريق البحر الأحمر ، وإعادة الاتصال القديم بين البحرين الأحمر والمتوسط [4].

وهذه البعثات كانت شديدة الاهتمام بمنطقة البحر الأحمر بما فيها مصر ، وعن طريق هذه البعثات أعلنت فرنسا أن أهدافها القيام بدراسات وبحوث طبيعية ، ولكن في الحقيقة كان المقصود منها تغطية الأهداف السياسية والتجارية ، ورصد التحركات البريطانية ، وتنظيم المؤسسات الفرنسية في الشرق ، وتحري الإمكانيات التي بواسطتها تتمكن التجارة الفرنسية من

منافسة البريطانيين في المنطقة، ومحاولة تنظيم خطوط تجارية بين الهند والسويس خلال البحر الأحمر[5] .

وفي أوائل أكتوبر من العام نفسه كتب ماجلون[6] **Magailon** القنصل الفرنسي في مصر تقريراً إلى حكومته قال فيه: « إذا أصبحنا سادة البحر الأحمر فإننا نستطيع أن نهدد مصالح البريطانيين ، وأن نطردهم من الهند ، فعن طريق السويس خلال الفترة المناسبة من العام يمكن إرسال عدد من القوات الفرنسية للهند بواسطة عدد قليل من البواخر ، ولا يحتاج جنودنا في ذلك الطريق لأن يبقوا في البحر أكثر من ستين يومًا بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح[7] الذي يستغرق ستة شهور ، وعن طريق السويس لن نكون معرضين لخسارة أكثر من 1% من رجالنا، بينما خسائرنا في الطريق الآخر لن تقل عن 1% بأي حال من الأحوال «[8] .

وتأكيدًا للتقرير السابق كتب ماجلون لحكومته في عشرين أكتوبر من العام نفسه أيضاً تقريراً قال فيه : « إنه إذا غادرت القوات الفرنسية ميناء طولون في 20 يونيو ، فإنها يمكن أن تصل الإسكندرية في 10 يوليو ، و القاهرة في 20 يوليو تقريبًا ، والسويس في 52يوليو ، ويمكن أن تكون في الهند بعد ذلك بنحو 45 يومًا قبل أن تكون لدى بريطانيا فسحة من الوقت لتتخذ أي إجراء مضاد ، على الرغم أننا لا نحتاج إلا إلى عشرة آلاف جندي فرنسي لطرد البريطانيين من الهند[9] .

يتضح من التقريرين السابقين أن القنصل الفرنسي في مصر كان يشجع حكومته على السيطرة على طريق البحر الأحمر ، وبالتالي تهديد المصالح البريطانية في الهند ، وفي إطار ذلك اقترح على حكومته ميعاد الخروج لتنفيذ ذلك والمدة التي سوف تستغرقها ، وعدد الجنود المناسب لذلك، وتقدير نسبة الخسائر الممكنة .

وفي اعتقادي أن فكرة غزو مصر بدأت منذ ذلك التاريخ (أكتوبر 1795) ، ولهذا يمكن أن نطلق على هذه المرحلة(مرحلة التفكير) و أصبح واضحًا أن هذا الغزو يراد به أن يكون وسيلة لتحقيق هدف آخر أبعد ، وهو استغلال الطريق القصير المؤدي إلى الهند ، وهو طريق البحر الأحمر، ومنع بريطانيا من استخدامه ، حتى يمكن ضربها في مستعمرتها تلك قبل أن تتخذ أي إجراء لصد هذا العدوان [10] .

ومن العوامل التي دفعت فرنسا أن تفكر بجدية في السيطرة على منطقة البحر الأحمر، تمكن بريطانيا في عام 5971م من السيطرة على مستعمرة رأس الرجاء الصالح ، وبذلك أصبح طريق رأس الرجاء الصالح متعذرًا على السفن الفرنسية ، ولذلك سيطرت على الفرنسيين رغبة قوية في الانتقام من بريطانيا بضربها في مصادر قوتها في الشرق ، وانتزاع التجارة الشرقية منها [11] . بل إن طريق البحر الأحمر له من المزايا ما يتفوق به على طريق رأس الرجاء الصالح ، خاصةً بالنسبة لفرنسا ، فمن خلاله تستطيع فرنسا أن تنفذ إلى الهند فتنال من البريطانيين و تبسط نفوذها في الشرق .

وفي هذا الصدد أكد ماجلون القنصل الفرنسي في مصر في تقاريره لحكومته في باريس على وجوب قيام فرنسا باحتلال مصر والتحكم في ميناء السويس على وجه الخصوص لحماية المصالح السياسية والاقتصادية الفرنسية ، والقضاء على أهمية طريق رأس الرجاء الصالح ، وأكد على أهمية استيلاء الفرنسيين على السويس والبحر الأحمر لطرد البريطانيين من الهند ، وسيطرة فرنسا على هذه المناطق والتجارة فيها ، وإيجاد طريق للمواصلات العالمية خلال أراضي مصر ، وقد قوبل هذا التحرك من قبل القنصل الفرنسي في مصر بمراقبة بريطانيا من قبل بولدوين **Baldwin**

القنصل البريطاني في مصر ، الذي أظهر تحركًا ملحوظاً لانتعاش التجارة البريطانية مع حكام مصر، وحاول إحباط المشروعات الفرنسية فيها ، وهكذا بدأ احتدام الصراع بين الدولتين بريطانيا وفرنسا، وأخذت كل منهما ترقب تحرك الأخرى ، خوفاً من أن تستأثر باميتازات تؤثر على مصالح الدولة الأخرى.[12]

ويلاحظ أنه في جميع المشروعات التي قدمت إلى الحكومة الفرنسية (حكومة الإدارة **Directoire**) والتي تشجع على غزو مصر ، أظهرت بجلاء أهمية البحر الأحمر ، ولهذا بحثت الحكومة الفرنسية بشكل جدي كل التقارير والمقترحات التي تحثها على غزو مصر ، وظهرت لدى الدوائر السياسية الفرنسية آنذاك وجهتا نظر بصدد ضرب المصالح البريطانية، الأولى: تؤيد أفضلية غزو بريطانيا في عقر دارها بدلاً من محاولة ضربها ضربة غير مباشرة في مستعمراتها الشرقية ، والثانية: توجيه ضربة قوية للمصالح البريطانية في الشرق عموماً باحتلال مصر واتخاذها قاعدة متقدمة للنفوذ الفرنسي في الشرق ، وقد وجدت وجهة النظر الثانية تأييداً لدى بعض الساسة والقادة العسكريين الفرنسيين ، ومنهم الجنرال بونابرت **Bonaparte** الذي كان شديد الحماس والإدراك لأهمية موقع مصر الاستراتيجي المطل على البحر الأحمر، أسرع طريق للوثوب على النفوذ البريطاني في المنطقة ، وغزو الهند عن طريقه[13]. وقد ذُكر عن بونا برت أنه قال صراحة « لكي نحطم بريطانيا يجب أن نضع أيدينا على مصر »[14].

و أكد هذا القول عندما قال لجنوده قبل وصوله إلى مصر وهو على متن السفينة « لوريان « في 4 مسيدور **Messidor** سنة 6 : أيها الجنود : « أنتم مباشرون فتحاً لا يجد تأثيره بالمدينة و التجارة في المعمورة ، و ستضربون

بريطانيا ضربة مؤلمة رثيما يتسنى لكم أن تضربوها الضربة القاضية ... « [15].

وإلى جانب ذلك فإن تاليران **Talleyrand** الذي أُختير وزيراً للخارجية الفرنسية عام 7971م، كان يؤمن بحاجة فرنسا إلى التوسع والاستعمار ، والحقيقة أن فرنسا في ذلك الوقت كانت آخذة في التوسع والفتوحات ، وكان الشرق هو المكان المناسب أمام فرنسا لتحقيق تلك المصالح والأطماع ، وهذا ما أكده مرة أخرى أن احتلال فرنسا لمصر لم يكن هدفاً أساسيا وحيداً لها، لأنه في الواقع يخدم أهدافاً أكثر طموحاً لفرنسا التي تسعى- عن طريق احتلال مصر – إلى تحويل التجارة عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى طريق البحر الأحمر؛ الأمر الذي يتيح لفرنسا - من خلاله الانقضاض على الوجود البريطاني في الهند ؛ لأنها تعتقد في أهمية التجارة في بناء المستعمرات البريطانية في الشرق، مستعينة في ذلك على البحر الأحمر وجزرموريشيس في المحيط الهندي في الحصول على السفن اللازمة لهذه الخطة [16] . هكذا كان الاثنان «بونا برت و«تاليران» يؤيدان الحملة الفرنسية على مصر كل التأييد .

كما أوضح» ماجلون «القنصل الفرنسي في مصر في تقرير له لحكومته في فبراير 1798 م عن مقدار الفوائد التي ستجنيها فرنسا من غزو الشرق، و تتلخص فيما يلي : إما أن يعمل الفرنسيون مباشرة من مصر على طرد البريطانيين من الهند قسراً ، وإما أن يكتفوا بتهديد التجارة مع الشرق على الأقل [17] .

وبهذه الصورة وضحت نوايا فرنسا للسيطرة على مصر والبحر الأحمر وخرجت الفكرة من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ .

وبهذا يمكن القول إن فكرة غزو فرنسا لمصر ، ووضع يدها على الطريق

البحري الموصل للهند، هي فكرة قديمة حقاً ، غير أن إخراجها إلى حيز التنفيذ في ذلك الوقت،يرجع لظروف فرنسا الداخلية ، وعلاقاتها بالدول الأوروبية الأخرى، فقد نجحت فرنسا في تسوية موقفها من الدول الأوروبية (الحلف الأوروبي الأول)[18] ضدها ولعل معاهدتها مع النمسا في عام 1797 م (معاهدة كمبيو فرميو) **Campo-Formi** تعد نهاية هذه التسويات ، بقيت بريطانيا العدو اللدود لفرنسا وكان التفكير في الانتقام من بريطانيا يسير جنبًا إلى جنب مع التفكير في إحياء الإمبراطورية الفرنسية [19] .

ثانيًا: مرحلة التنفيذ:

انتقلت الاستراتيجية الفرنسية إلى مرحلة أبعد من مرحلة التفكير ، إلى مرحلة التنفيذ، واتضح ذلك من خلال قرار الحكومة الفرنسية بوضع جيش الشرق تحت قيادة «نابليون بونابرت» في 12 أبريل عام 1798 م ، ويتضح ذلك من القرار، كيف كانت الحملة الفرنسية على مصر بالغة الأثر في الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر؟ وكيف أدت إلى إشعال الصراع بينهما بصورة أكثر ضراوة خلال القرن التاسع عشر الميلادي ؟ [20]

وقد نص قرار الحكومة الفرنسية على المواد التالية :

أولاً: احتلال مصر ، بإنشاء مستعمرة فرنسية فيها .

ثانياً: السيطرة على البحر الأحمر، وطرد الإنجليز من مراكزهم فيه، ومن ممتلكاتهم في الشرق، وفي الجهات التي يمكن لنابليون أن يصل إليها .

ثالثاً: أن يعمل نابليون على شق قناة بين البحرين الأحمر والمتوسط خلال برزخ السويس .

رابعاً: أن يبذل نابليون جهوده لبسط نفوذ فرنسا على البحر الأحمر [21] .

أهم ما يلاحظ على قرار الحكومة الفرنسية أن ثلاث مواد من الأربعة ركزت على قرار البحر الأحمر بصفة مباشرة ، كما أن المادة الأخرى كانت بمثابة موطئ القدم للوثوب لتنفيذ الاستراتيجية الفرنسية في البحر الأحمر .

ولهذا يتبين لنا أن احتلال فرنسا لمصر لم يكن الغاية ، وإنما كان مرحلة في الصراع البريطاني الفرنسي حول السيطرة على البحر الأحمر، ثم التدخل في الهند لطرد الإنجليز منها والقضاء على مصالحهم وتجارتهم كلياً في الشرق [22] .

وكانت الخطوة الأولي لنابليون بعد أن وصل إلى مصر ، أن أمر ببناء أسطول فرنسي في البحر الأحمر، لتوجيه ضربة قاصمة للبريطانيين في الهند؛ كما أمر بتشكيل لجنة من المهندسين والعلماء لدراسة مشروع حفر قناة خلال برزخ السويس لتوصيل مياه البحر الأحمر بالمتوسط [23].

غير أن الظروف السيئة التي وجد الفرنسيون أنفسهم فيها حينذاك لم تمكنهم من استكمال مخططاتهم تجاه البحر الأحمر ، خاصة بعد تحطم الأسطول الفرنسي على يد الأسطول البريطاني بقيادة نلسن **Nelson** في أبي قير البحرية في أغسطس 1798 [24] .

ولم يكن الأسطول الفرنسي الذي أقيم في البحر الأحمر سوى مجموعة من السفن الصغيرة ، غير القادرة على أكثر من ربط موانئ مصر ببعض الموانئ القريبة في البحر الأحمر[25]، في حين أن لجنة قناة السويس توصلت إلى نتائج غير دقيقة فيما يتعلق بالخطأ الحسابي لمستوى المياه في البحرين [26].

كما وضع تحطيم الأسطول الفرنسي في أبي قير حداً لمطامع بونابرت في توغله في مياه البحر الأحمر والوصول إلى الهند[27]، و على الرغم من

هـذا الفشـل ، زاد اهتمـام نابليـون والفرنسـيين بالبحـر الأحمـر، وخاصـة بعـد أن فـرض عليهـم الإنجليـز حصـاراً مـن جهـة البحـر المتوسـط ؛ ليحولـوا بينهـم وبـين الاتصـال بالوطـن الأم فرنسـا ، فلـم يكـن أمامهـم بذلـك لمحاولـة الانطـلاق مـن مصـر سـوى طريقـين أحدهمـا :طريـق الشـام في اتجـاه القسـطنطينية وثانيهمـا : طريـق البحـر الأحمـر في اتجـاه الهنـد . وإذا كان الجيـش الفرنسـي الزاحـف إلـى بـلاد الشـام قـد اسـتعصى عليـه فتـح عـكا ثـم ارتـد إلـى مصـر ، فلـم يكـن أمامـه سـوى طريـق البحـر الأحمـر[28].

وفي إطـار السـيطرة علـى طريـق البحـر الأحمـر والوصـول إلـى الهنـد، لجـأ نابليـون إلـى اسـتراتيجية جديـدة تعتمـد علـى عقـد صـلات وديـة مـع بعـض أمـراء العـرب في شـبه الجزيـرة العربيـة وجنـوب البحـر الأحمـر فأرسـل عـدة رسـائل إلـى بعـض أمـراء العـرب في الحجـاز ومسـقط واليمـن وغيرهـا للتبشـير بنفـوذ فرنسـا ، والتمهيـد لمـا قيـل عـن اسـتعداد حملـة فرنسـية كبيـرة للخـروج لغـزو الهنـد[29].

ومـن منطلـق هـذه السياسـة بعـث «بونابـرت « برسـالتين إلـي شـريف مكـة الشـريف غالـب بـن مسـاعد **Ghalib ibn Moussaid Nelson** أولاهمـا في 25 أغسـطس عـام 1798 م، وثانيهمـا في 30 يونيـو عـام 1799 م ، يخبـره في الرسـالة الأولـي بأنـه وصـل إلـى القاهـرة علـى رأس الجيـش الفرنسـي، وأكـد لـه علـى الصداقـة التـي تربـط الفرنسـيين بالمسـلمين وإلى تقديرهـم واحترامهم للأماكـن المقدسـة ، وفي نهايـة رسـالته حـاول بونابـرت إقنـاع الشـريف غالـب بـن مسـاعد بإغـلاق موانيـه في وجـه الملاحـة البريطانيـة [30] .

أمـا الرسـالة الأخـرى في 30 يونيـو عـام 1799 م فيعـرض فيهـا بونابـرت علـى الشـريف غالـب بـن مسـاعد بعـض الاتفاقيـات التجاريـة ويتمنـي أن تزدهـر

في المستقبل معاملات الشريف التجارية مع الهند ، وأن سفنه ستكون في حماية تامة من الفرنسيين حين يبسطون سيادتهم على الطريق الملاحي للهند ، وفي الوقت نفسه ينذره بالعواقب إن هو حاول قطع هذه العلاقات التجارية[31] .

يتضح من هاتين الرسالتين أن «بونابرت «كان يريد أن تكون علاقاته طيبة بالشريف غالب بن مساعد على أساس أنه من الشخصيات الوطنية البارزة في شبه الجزيرة العربية والتي لها وزنها في العالم الإسلامي ، وفي المناطق التي تطل وتشرف على الطريق البحري للهند ، كما يتضح من الرسالتين أن من أهم أهداف الحملة الفرنسية على مصر التحكم في الطريق البحري للهند والشرق، وعرقلة اتصال بريطانيا بمستعمراتها في هذه المناطق .

ويتبين من هاتين الرسالتين أن بونابرت كان على اتصال دائم بأصحاب النفوذ في شبه الجزيرة العربية؛ لأن طريق البحر الأحمر كان الطريق الوحيد المفتوح أمامه بخلاف طريق البحر المتوسط .

و لكن من اللافت للنظر أن بونابرت في رسالته الثانية إلى الشريف غالب بن مساعد كان ينذره بالعواقب إن هو حاول قطع العلاقات التجارية مع فرنسا .

ويبدو أن الذي جعل بونابرت يستخدم هذا الأسلوب الشديد اللهجة ،هو ما كان يعلمه من علاقات ودية بين الشريف غالب بن مساعد وبين الممثل البريطاني في جدة ولسن **Wleson** [32].

على أن الذي كان يهم الشريف غالب وأصحاب النفوذ في شبه الجزيرة العربية، هو أن تتمتع سفنهم التي تحمل البضائع الهندية والشرقية بالحماية والأمان.

ولهذا رد شريف مكة على رسالة بونابرت رداً حسناً ينبئ باستمرار التبادل التجاري بين الموانئ المصرية والحجازية [33].

ويبدو أن شريف مكة أراد بموقفه هذا فصل المصالح التجارية عن المصالح السياسية ، وبالفعل استمرت السفن الحجازية في المتاجرة مع الموانئ المصرية وقت الحملة الفرنسية وخاصة مع مينائي جدة وينبع[34] .

ولإبراز مزيد من النوايا الحسنة نحو استمرار العلاقات التجارية أعفي الفرنسيون تجارة الشريف غالب من الرسوم التجارية، ومع ذلك فإن هذا التقارب التجاري بين مصر والحجاز إبان الحملة الفرنسية لم يستمر أكثر من ذلك ، ولم يعثر على أي تعاون تجاري آخر بينهما طوال فترة بقاء الفرنسيين هناك[35].

وفي إطار الاستراتيجية التي أتبعها بونابرت في عقد صلات ودية مع بعض أمراء العرب في شبه الجزيرة ، أرسل بونابرت رسالة إلى إمام مسقط (سلطان بن أحمد) في 25 يناير عام 1799 م يمنيه فيها بعلاقات تجارية ناجحة مع مصر عن طريق البحر الأحمر[36] .

ولاشك أن الذي شجع بونابرت على إرسال هذه الرسالة إلى إمام مسقط هو الموقع المتميز لمسقط ومينائها الملائم للتجارة والذي يمكن منه انطلاق فرنسا للزحف على الهند .

يتضح مما سبق أن مخططات بونابرت الإمبريالية ارتبطت بإستراتيجية التنسيق بين قواته في مصر وبعض القوي السياسية العربية المطلة على كل من البحر الأحمر وخليج عُمان .

كما أرسل بونابرت رسالة إلى تيبو صاحب **Tippo Sahib** سلطان ميسور في الهند في 25 يناير عام 1799 م يعد فيها بازدهار النشاط التجاري بين سلطنته والفرنسيين في مصر [37] ، على أساس أن تيبو صاحب من أشد المناوئين للحكم البريطاني في الهند ، وكان من أبرز الحكام الذين اعتمدت عليهم فرنسا في تحطيم السيطرة البريطانية في منطقة المحيط الهندي [38]

غير أن البريطانيين حالوا دون وصول الرسالتين الأخيرتين إلى كل من إمام مسقط وسلطان ميسور [39]، ومن ثم لم تنجح فرنسا في تنفيذ مخططها بربط هذه المناطق تجارياً بمصر في أثناء وجودهم فيها ، كخطوة أولي يمكن الانطلاق منها للزحف إلى الهند .

وفي الوقت الذي اتَّبع فيه نابليون بونابرت سياسة تكوين علاقات طيبة مع بعض الأمراء في شبه الجزيرة العربية وجنوب البحر الأحمر ، لإحكام سيطرته على منطقة البحر الأحمر ، لجأ إلى اتباع سياسة أخرى وهى احتلال بعض الموانئ المهمة على الساحل الغربي للبحر الأحمر .

فقد تمكن نابليون بونابرت في ديسمبر عام 1798 م من احتلال ميناء السويس وقد قام بتحصينه ونصب المدافع به [40] ، فقد كان للسويس أهمية استراتيجية على البحر الأحمر لم تغب عن فطنة نابليون، إذ كان يري أنها تصلح أن تكون قاعدة بحرية فرنسية على البحر الأحمر ينطلق منها إلى الهند ، هذا فضلاً عن أهميتها التجارية .

وفي هذا الإطار أيضاً أصدر نابليون بونابرت تعليماته لقواته باحتلال ميناء القصير في مايو عام 1799 م وقد كانت القصير بلدة لها أهميتها الاستراتيجية البالغة نظراً لموقعها المتميز على البحر الأحمر . و كان المماليك

يستخدمونها في تجميع قواتهم للجهاد ضد الفرنسيين [41]، ومن أجل ذلك أصبح الاستيلاء على القصير بالنسبة للفرنسيين ضرورة لا مناص منها إذا أرادوا وقف تيار المتطوعين من العرب لمساعدة إخوانهم في مصر، وقد ازدادت هذه الضرورة وضوحاً وحاجة بدخول بارجة بريطانية مياه البحر الأحمر وقصفت ميناء السويس بالقنابل ، ثم أخذت تجوب البحر الأحمر بين جدة والقصير ، فإذا تمكن البريطانيون من السيطرة على البحر الأحمر كما سيطروا على البحر المتوسط لأصبح موقف الفرنسيين خطيراً بل ميؤساً منه[42] .

من أجل كل ذلك أمر بونابرت باحتلال هذا الميناء وتحصين قلعته بالمدافع تحسباً لأي هجوم سواء أكان ذلك من قبل العرب ، أم من قبل البريطانيين، وكان احتلال الفرنسيين للقصير تتويجاً للإنجازات التي حققوها على ساحل البحر الأحمر .

عدَّ الفرنسيون احتلالهم للقصير ختاماً لتحركاتهم العسكرية على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وقد كتب بونابرت تقريراً لحكومته عن الأوضاع والتحركات في القصير في 32يونيو عام 9971م ، أي بعد احتلالهم القصير بشهر واحد قال فيه : «إن احتلال القصير والسويس والعريش ، أغلق طريق الوصول إلي مصر من جهة البحر الأحمر وسوريا إغلاقاً محكماً « [43] .

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن الفرنسيين – في إطار سعيهم للسيطرة على البحر الأحمر – اتبعوا عدة وسائل واستراتيجيات كل يكمل بعضها بعضاً و هي :

1. بناء أسطول حربي فرنسي في البحر الأحمر .
2. تشكيل لجنة من العلماء لبحث فكرة توصيل البحرين الأحمر والمتوسط .
3. عقد الصلات الودية مع بعض أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية وجنوب البحر الأحمر .
4. احتلال بعض الموانئ المهمة على الساحل الغربي للبحر الأحمر .

فهل نجحت كل هذه الوسائل والاستراتيجيات أم لا ؟ الإجابة عليها تتضح من ردود الفعل البريطانية والإجراءات التي اتخذتها لمقاومة التحرك الفرنسي في البحر الأحمر.

ثالثاً : مرحلة رد الفعل :

لقد كان للموقف البريطاني ردود أفعال سريعة لمواجهة التحرك الفرنسي في مصر ومنطقة البحر الأحمر، منذ وطئت قدم الحملة الفرنسية الأراضي المصرية ، واتخذت الكثير من الإجراءات لمواجهة الخطر الفرنسي . فقد أثار مجيء الحملة الفرنسية على مصر انتباه الحكومة البريطانية ، فالحملة كانت بمثابة ناقوس الخطر الذي نبهها إلى ما يحيق بمصالحها الحيوية في الشرق من أخطار، بل لمست بريطانيا عملياً مدى التهديد الذي يمكن أن توجهه فرنسا لمناطق نفوذها ومصالحها، إذا وقعت مصر وطريق البحر الأحمر تحت قبضة فرنسا، وهى الدولة المنافسة لبريطانيا بصورة رئيسة[44] .

ومن ثم تغير موقف الحكومة البريطانية ونظرتها لمصر والبحر الأحمر إلى اهتمام زائد وتمسك شديد بأهم طريق حيوي في مواصلاتها الإمبراطورية، فقبل عام 1797 م لم تكن بريطانيا تهتم بمنطقة البحر الأحمر وحدها ،

إنما كان لديها ثلاثة طرق توصلها بمستعمراتها في الهند ؛ وهى : الخليج العربي ، وطريق البحر الأحمر ، وطريق رأس الرجاء الصالح .

وفي أغسطس عام 1797م تشكلت لجنة لدراسة أفضل الأساليب الممكنة لتأمين مراسلات الهند مع بريطانيا عن طريق الخليج العربي والبحر الأحمر فقط ، أما طريق رأس الرجاء الصالح فكان أطولها فاستبعد من الدراسة وأوصت اللجنة آنذاك بأفضلية الخليج العربي على طريق البحر الأحمر لقلة تكاليف المراسلات من خلاله ، وخلوه من العواصف[45] .

غير أن الأوضاع كلها تغيرت بعد قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر، وأصبح محور السياسة البريطانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي يدور حول السيطرة على المراكز الاستراتيجية المهمة في طرق المواصلات إلى الهند، وخاصة طريق البحر الأحمر الذي يعد أقصر هذه الطرق ، الذي يمكن لفرنسا من خلاله الانطلاق إلى الشرق بسرعة وتهديد الممتلكات البريطانية هناك[46].

وعلى أية حال ، فسواء أكان هناك خلاف حول ما إذا كان لدي فرنسا خطة محددة استهدفت احتلال الهند أم لم يكن ، فإن الحملة الفرنسية على مصر ووصول القوات الفرنسية إلى شواطئ البحر الأحمر ، أشعر السلطات البريطانية بالخطر ، وجعل من الضرورة اتخاذ الإجراءات المضادة السريعة للحيلولة دون إمكانية وصول القوات الفرنسية إلى الهند[47].

وبناءً على ذلك وضعت بريطانيا سياستها على أساس السيطرة على منافذ البحر الأحمر والأقاليم المطلة عليه [48] ، على النحو الذي يأتي ذكره.

أولاً: بعد أن وصلت الأنباء إلى لندن بتوجه الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت ، صدرت الأوامر للقوات البريطانية بقيادة نلسن **Nelson** في مايو عام 1798 م بالتوجه إلي الإسكندرية ، ثم إلى الأناضول لتنسيق التعاون مع السلطات العثمانية لمواجهة الغزو الفرنسي [49] ، على أساس أن الدولة العثمانية صاحبت السيادة على مصر آنذاك .

ثانياً: وفي أغسطس عام 1798 م دخل الأسطول البريطاني بقيادة نلسن في مواجهة عسكرية مع الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية ودارت الدائرة على الأسطول الفرنسي وتحطم في هذه الموقعة [50] ، و هو ما جعل مهمة إنجاز المخططات الرئيسة للحملة الفرنسية أمراً بالغ الصعوبة [51] .

زاد من حرج الموقف الفرنسي قيام الأسطول البريطاني بمحاصرة الشواطئ المصرية، و من ثم عزل الحملة الفرنسية في مصر عن الوطن الأم فرنسا .

ثالثاً: استطاعت الحكومة البريطانية - بعد هزيمة الفرنسيين في موقعة أبي قير البحرية- أن تستصدر من السلطان العثماني [52] في أغسطس من العام نفسه أيضاً ، فرماناً يمنح السفن الحربية البريطانية حرية الملاحة في البحر الأحمر ، وأصدر السلطان العثماني أوامره إلى حكام الثغور في البحر الأحمر لتقديم المساعدة للقوات البريطانية التي ستزور تلك الموانئ. و من ثم تلاقت وجهات نظر كل من العثمانيين والبريطانيين في ضرورة التحالف معاً لإخراج الفرنسيين من مصر لإبعاد خطرهم من منطقة البحر الأحمر [53].

واستكمالاً لسياسة التحالف البريطاني العثماني حرصت بريطانيا على المبالغة في إظهار صداقتها للدولة العثمانية ، وإن كان المحرك الأول للموقف البريطاني هو المحافظة على مصالحها ونفوذها في المنطقة، وقد عبرت

الحكومة البريطانية في مراسلاتها مع السلطان العثماني عن رغبتها في حماية ممالك السلطان ، واستعدادها لتقديم المساعدة العسكرية لمواجهة الخطر الفرنسي ، حتى إذا تطلب الأمر الاشتراك معها في حرب ضد الفرنسيين[54].

شملت هذه المراسلات أيضاً إمكانية انضمام دولة ثالثة للتحالف البريطاني العثماني ،وقد تكون هذه الدولة روسيا [55] .

سارت المفاوضات بين الدولة العثمانية وروسيا من جانب ، وروسيا وبريطانيا من جانب آخر، وأسفرت المفاوضات عن عقد تحالف دفاعي هجومي لمدة ثماني سنوات بين روسيا والدولة العثمانية في ديسمبر 1798 م ، وقد دعت الدولتان الدول الأوروبية الأخرى كبريطانيا والنمسا وبروسيا وغيرها للانضمام إلى هذه المعاهدة لحفظ التوازن الدولي[56].

وفي يناير 1799 م نجحت بريطانيا في عقد معاهدة تحالف مع الدولة العثمانية ، جاء فيها : « انضمام بريطانيا إلى التحالف العثماني الروسي ، للعمل معاً لطرد الفرنسيين من المنطقة ، في مقابل تعهد بريطانيا بضمان استقلال الدولة العثمانية وسلامة أراضيها دون استثناء «[57].

وتنفيذاً لهذه المعاهدة قامت بريطانيا بإرسال قواتها إلى مصر ، والحقيقة أن الحكومة البريطانية أدركت مدى أهمية الاشتراك العسكري مع الدولة العثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر ومنطقة البحر الأحمر للمحافظة على المصالح البريطانية في الهند .

وقد مهد عقد هاتين المعاهدتين تكوين المحالفة الدولية ضد فرنسا ـ وهى ما تعرف بالتحالف الدولي الثاني ضد فرنسا [58]. إذ سرعان ما انضمت مملكة نابولي وحكومة النمسا إلى الحلفاء بمقتضى معاهدة 9971م وأعلنتا الحرب على فرنسا[59].

رابعاً: في إطار الإجراءات البريطانية لمواجهة الخطر الفرنسي في منطقة البحر الأحمر ، أرسلت بريطانيا قوة عسكرية مكونة من أربعة آلاف جندي إلى الهند لتعزيز القوات البريطانية المرابطة هناك [60] .

كما أرسلت دوريات استطلاعية من الأسطول البريطاني فيما بين منطقتي الخليج العربي والبحر الأحمر، وطُلب من حكومة الهند البريطانية الاتصال بحكام الولايات الشمالية الغربية من الهند لإقناعهم بصد أي هجوم قد يقوم به الفرنسيون على الهند[61].

خامسا: طُلب من حكومة الهند البريطانية أيضاً ، كسب ود والي بغداد ، وتعيين ممثل سياسي بريطاني فيها [62] ،جاء في مقدمة قرار تعيينه التصدي للخطط الفرنسية في المنطقة بكل السبل المتاحة [63] .

سادساً: استكمالاً للإجراءات البريطانية في منطقة البحر الأحمر ، حرصت حكومة الهند البريطانية على توثيق اتصالاتها بحكام المنطقة ، لضمان عدم اتصالهم بالفرنسيين ، ولتدعيم الوجود البريطاني في البحر الأحمر ، فقامت بإرسال رسائل إلى حكام الثغور في البحر الأحمر تحذرهم من قدوم الفرنسيين وخطر تواجدهم في بلدان البحر الأحمر ، وطلبت منهم عدم تقديم أية تسهيلات لهم . ومن هؤلاء الحكام السلطان أحمد بن عبد الكريم الفضلي «سلطان لحج وعدن « الذي رد على مراسلات حكومة الهند البريطانية بأن بلاده تحت إمرة السلطان العثماني ليدفع عن نفسه مسؤولية القبض على المشتبه فيهم، وتسليمهم للبريطانيين ، لكنه تعهد بأنه لن يسمح للفرنسيين بالنزول في أراضيه [64]. ويعد هذا الإجراء الوقائي من جانب سلطان لحج وعدن كافياً كحد أدنى بالنسبة للبريطانيين آنذاك .

وفي عام 1799 م عقدت بريطانيا اتفاق ناجح مع سلطان مسقط لمنع الفرنسيين من التسرب عبر الخليج العربي ، وقررت الحكومة البريطانية بعد وصول الحملة الفرنسية إلى مصر إرسال بعثة لتكون حلقة اتصال بين بريطانيا وشريف مكة كجزء من تلك الإجراءات البريطانية [65] .

وفي العام نفسه زار الجنرال ولسن **Wleson** اليمن ، وقابل الإمام المنصور في صنعاء وحاول الاتفاق معه على وضع قوات بريطانية في الأراضي اليمنية ، تقطع الطريق أمام تقدم أي قوات فرنسية خلال البحر الأحمر ، لكنه لم ينجح في عقد أي اتفاق بهذا الخصوص[66] .

وكان ضمن سلسلة الإجراءات البريطانية الوقائية للوقوف ضد الزحف الفرنسي أن قامت حكومة الهند البريطانية بالتشاور مع الحكومة البريطانية في لندن حول احتلال جزيرة «بريم» أو «ميون» كما كان يسميها العرب ، عند مدخل البحر الأحمر ، بناءً على ذلك قام حاكم بومباي « كابتن جي دنكان « **Cap.J.Duncan**» باتصالات دبلوماسية مع بعض حكام البحر الأحمر ، فبعث برسائل إلى كل من إمام اليمن وسلطان لحج وعدن ، وشريف مكة ، وحاكم جدة ، وحاكم المخا وذلك في فبراير 1799 م [67] .

تضمنت هذه الرسائل جميعها موضوعاً واحداً هو أن الفرنسيين اتخذوا من جزيرة بريم مقراً لهم للسلب والنهب ، وأن حاكم بومباي قد أرسل إلى تلك الجزيرة المذكورة عدداً من المدافع مصحوبة بالسفن الحربية البريطانية للحماية ولوضع رقابة على مدخل البحر الأحمر [68] وصدرت الأوامر بأن تكون الحملة تحت قيادة العميد البحري «جون بلانكيت «**John Blankett** قائد السفن البريطانية في البحر الأحمر والمدن المجاورة ، كما تم تكليف الكولونيل «جون موراى « **Col. John Murray** بقيادة الجيش المعني

باحتلال جزيرة بريم [69]. ولهذا تحركت من بومباي قوة بحرية في أبريل 9971م قوامها ثلاثمائة أوروبي وهندي و اتجهت نحو المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، تمكنت هذه القوة من احتلال جزيرة بريم الواقعة في أضيق نقطة بمضيق باب المندب [70]، الذي يصل البحر الأحمر بخليج عدن وذلك في اليوم الثالث من شهر مايو عام 1799 م وظلت تحتلها حتى أوائل شهر سبتمبر من العام نفسه .

غير أن البريطانيين تبينوا أن المضايق في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر لا يمكن السيطرة عليها من جزيرة بريم بواسطة المدفعية الساحلية ، كما أن مناخ الجزيرة رديء للغاية ، وليست بها مياه للشرب . ولهذا سحب « مورای « قواته من جزيرة بريم [71] .

بعد إخلاء جزيرة بريم صدرت موافقة مجلس حكومة بومباي على تأسيس قاعدة بريطانية في عدن خاصة بعد أن اطمأن « مورای « لحسن نوايا سلطان لحج وعدن الذي أبدي موافقته المبدئية على بقاء البريطانيين مؤقتاً في عدن خلال الفترة التي يحتاجونها . وقد اتجه « مورای « بقواته إلى عدن حيث استقبله سلطانها استقبالاً طيباً . وبذل «مورای « محاولاته للتحالف مع سلطان عدن لضمان اتخاذ عدن محطة دائمة للسفن البريطانية ، غير أن هذا الموضوع تأجل الاتفاق عليه [72] واضطرت هذه القوة البحرية البريطانية أن تنتظر في عدن حتى شهر مارس عام 1800 م لتستعين بالرياح الموسمية للتوجه عائدة إلى الهند .

وإبان وجود القوات البريطانية في عدن ، حدث شجار بين جنود القوات البريطانية وبين بعض العرب ، وخشية من تورط المصالح البريطانية في نزاعات داخلية مع الأمراء العرب الذين من مصلحة بريطانيا إبقاء العلاقات

الودية معهم ، صدرت تعليمات حاكم بومباي « دنكان « إلى الكولونيل « موراى « بالرحيل من عدن ، إما إلي جزيرة بريم ، أو العودة إلى الهند[73] .

و على الرغم من التعليمات الصادرة إلى الكولونيل « موراى « غير أنه اتجه على رأس قواته إلى شمال البحر الأحمر [74]، لزيارة الجيش العثماني هناك ، ثم اتجه إلى خليج السويس لمواجهة النشاط الفرنسي هناك .

وفي إطار الإجراءات العسكرية لحكومة الهند ، أُرسلت حملة من بومباي في شهر مارس عام 1800 م بقيادة العميد « بلانكيت « متجهة أيضاً إلى البحر الأحمر ، وفي ميناء المخا اليمني تلقي قائد الحملة أنباءً عن اتفاقية جلاء الفرنسيين عن مصر ، وأن الفرنسيين على وشك سحب قواتهم من السويس ، فسار فوراً إلى السويس للمساعدة في تطبيق شروط المعاهدة إذا لزم الأمر، ولكنه عندما وصل إلى السويس تعرض لإطلاق النار من قبل القوات الفرنسية التي كانت متواجدة في السويس حينئذ، فتراجع العميد بلانكيت الذي تأكد له أن المعاهدة مع الفرنسيين قد أُبطلت بسبب رفض البريطانيين لبعض بنودها[75] .

فاتجه إلى ميناء جدة لرسو السفن ، خاصة أنه تبين له أن ميناء القصير لا يصلح لرسو السفن ويمثل خطراً على السفن البريطانية ، وفي جدة اجتمع العميد « بلانكيت « مع شريف مكة غالب ابن مساعد للحصول على مساعدة لطرد الفرنسيين من مصر والبحر الأحمر[76].

وكان الشريف غالب بن مساعد قد اتفق مع الفرنسيين من قبل على عدم فتح موانيه أمام السفن البريطانية ، ولهذا فقد لمس العميد «بلانكيت» تغيراً في موقف الشريف وتصرفاته تجاه البريطانيين[77].

وجاءت التعليمات إلى العميد «بلانكيت» أن يبذل كل جهوده لتجريد الفرنسيين من وسائل الاستقرار في البحر الأحمر ، والعمل على اعتراض التجارة الفرنسية ، وفصلها عن مصالح شريف مكة التجارية [78] .

ومما هو جدير بالذكر ، أن الحكومة البريطانية لم تكتف بتجهيز حملة العميد «بلانكيت» إلى البحر الأحمر لمساندة حملة البحر المتوسط والمشتركة مع القوات العثمانية في الشمال ، بل عملت على تجهيز حملة ثالثة بقيادة « سير هوم بوفهام «**Sir H. Popham** عام 1801 م حيث عهدت إليه بالخروج في أسطول حربي عبر رأس الرجاء الصالح يتجه إلى بومباي ويستعين هناك بقوات إضافية ثم يتوجه إلى البحر الأحمر ، ويعمل على الاتصال ببقية وحدات الأسطول البريطاني بقيادة العميد «بلانكيت» [79]. للعمل معاً على إجلاء الفرنسيين عن مصر ومنطقة البحر الأحمر. ومع أن بعثة بوفهام تأخر وصولها ولم تشارك فعلياً في تحركات العميد بلانكيت العسكرية ، وإنما دخل في إبرام علاقات ودية مع حكام منطقة البحر الأحمر[80] فقد حملته حكومته رسائل عديدة إلى كل من شريف مكة ، وإمام اليمن ، وسلطان لحج وعدن تطلب منهم الدخول في معاهدات حلف وصداقة [81] .

وفي إطار تدعيم حملة البحر الأحمر ، صدرت تعليمات حاكم الهند بتجهيز كل ما يلزم من جنود وسفن ومدافع لمساندتها ، وبالفعل وصلت قوة بحرية بريطانية من بومباي إلى ميناء القصير في مايو 1801م واحتلت الميناء واتجهت صوب صعيد مصر للمساهمة في القتال ضد الفرنسيين.

غير أن حملة البحر الأحمر التي وصلت القصير وتوغلت في أراضي مصر ، كانت قد وصلت إلى القاهرة في أغسطس من عام 1801 م ، وبذا لم تشارك في قتال الفرنسيين ، ولم يكن لها أثر في العمليات العسكرية التي

انتهت بجلاء الفرنسيين من مصر ومنطقة البحر الأحمر ، ووقع العبء كله على حملة البحر المتوسط[82] .

ولاشك أن هدف المسؤولين في الحكومة البريطانية من اشتراك حملة البحر الأحمر مع حملة البحر المتوسط والقوات العثمانية المتحالفة معها في شمال مصر ، تطويق القوات الفرنسية من الشمال والجنوب و من ثم الإجهاز عليها .

وعلى الرغم من أن حملة البحر الأحمر تأخرت ولم تشارك في العمليات العسكرية إلا أنه يرجع الفضل لها في السيطرة على موانئ السويس والقصير ، وتأمين المنطقة عسكرياً أمام أية محاولة فرنسية مباغته[83] .

كما أن إرسال قوات بريطانية من الهند خلال البحر الأحمر أمر له دلالته ، إذ يظهر مدى الارتباط الذي بدأ يوجد بين مصر والممتلكات البريطانية في الشرق عن طريق البحر الأحمر ، وظل هذا الارتباط من القواعد الجوهرية في سياسة بريطانيا في الشرق طوال القرن التاسع عشر الميلادي [84] ، كما أن التعاون بين القوات البريطانية في الشمال الآتية من أوروبا وبين القوات البريطانية الآتية من الجنوب في الهند سمة واضحة في استراتيجية الدفاع البريطاني عن مصالح بريطانيا العظمى منذ ذلك الحين ، كما كانت هذه الحادثة دلالة على أول استخدام للبحر الأحمر في الأغراض العسكرية الحديثة[85] .

وهكذا تبين لنا أن البريطانيين قد اتخذوا عدداً من الإجراءات السياسية والعسكرية في منطقة البحر الأحمر والبحار المتصلة به مثل الخليج العربي والمحيط الهندي، فضلاً عن اتصالاتهم مع أمراء وحكام منطقة البحر

الأحمـر ، وتحالفهـم مـع الدولـة العثمانيـة واسـتمرت تلـك الإجـراءات الأمنيـة الوقائيـة حتـى بعـد خـروج الفرنسـيين مـن مصـر ، بعـد أن تأكـد لبريطانيـا أهميـة منطقـة البحـر الأحمـر كسـياج آمـن لنفوذهـا في الشـرق .

وبذلـك نسـتطيع أن نقـول أن الإجـراءات التـي اتخذتهـا بريطانيـا لمواجهـة الخطـر الفرنسـي نجحـت إلـى حـد كبيـر في احتـواء الاسـتراتيجية الفرنسـية والتغلـب عليهـا في المنطقـة كحلقـة مـن حلقـات الصـراع الاسـتعماري الفرنسـي البريطانـي .

الخاتمة

لقد أوضحت هذه الدراسة أن الاستراتيجية الفرنسية قد اتخذت من عام 1795م عاماً حاسماً ومفصلياً في سياستها تجاه ضرب بريطانيا في مستعمرتها عن طريق السيطرة على منطقة البحر الأحمر، وبدأ التفكير بجدية في غزو مصر.

كما اتضح من هذه الدراسة أن الخارجية الفرنسية ممثلة في «تاليران «و « ماجلون «، كانت تعمل بالتنسيق مع القوات العسكرية الفرنسية ممثلة في « نابليون بونابرت « ، للعمل على السيطرة على منطقة البحر الأحمر ، والخطوة الأولى لتحقيق ذلك هي السيطرة على مصر كموطئ قدم للوثوب منها للسيطرة على بقية مناطق البحر الأحمر .

ولهذا يتضح أن الغزو الفرنسي لمصر عام 1798م ، لم يكن إلا وسيلة لتحقيق هد ف أبعد وهو استغلال الطريق القصير المؤدي إلى الهند وهو طريق البحر الأحمر وبالتالي منع بريطانيا من الوصول إليها .

كما بينت هذه الدراسة أن السياسة الفرنسية، قد لجأت إلى عدداً من الاستراتيجيات الدبلوماسية والسياسية والعسكرية من أجل احتواء منطقة البحر الأحمر والسيطرة عليها . غير أن هذه الاستراتيجيات لم تنجح بسبب الإجراءات المضادة التي اتخذتها بريطانيا عن طريق استخدام نفس الأسلوب الاستراتيجي في المواجهة .

غير أن الذي ساعد بريطانيا في التغلب في النهاية وجود أكثر من قاعدة عسكرية انطلقت منها القوات البريطانية ، هذا بالإضافة إلى التحالف البريطاني العثماني ، فضلاً عن قيادة بريطانيا لعقد التحالف الأوروبي الأول والثاني ضد فرنسا .

كما أوضحت هذه الدراسة أن إرسال قوات عسكرية بريطانية من الهند للاشتراك مع القوات العسكرية البريطانية الآتية من أوروبا ، أمر له دلالته في التنسيق والارتباط بين الهند ولندن ، ويحدث هذا لأول مرة في الاستراتيجية البريطانية ، وأصبح ذلك سمة واضحة في إستراتيجية الدفاع البريطاني عن مصالح بريطانيا العظمى منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ومنطقة البحر الأحمر وحتى طوال القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين الميلاديين .

المصادر والمراجع

(1) تقرير المبعوث الفرنسي الكونت دي روسلي De Rosily عن الجولة التي قام بها في مناطق الخليج العربي والبحر الأحمر عام 5871 م ، والذي قدمه للحكومة الفرنسية يؤكد على زيادة حدة الصراع البريطاني في تلك المناطق في ذلك الوقت ، كما قدم التقرير أفضل الوسائل التي ينبغي على فرنسا اتباعها لعرقلة المصالح البريطانية في المحيط الهندي وتوثيق العلاقات الفرنسية مع الأمراء الهنود الأمر الذي يساعد على ضرب بريطانيا في الهند وتدعيم مكانة المستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي . انظر:

E. Auzoux: La Fraince at Mascate, eut, XVIII, TXI X Siecles in Ravaed , histoire diplomatique,Vol. 231910 24,1909-/ , Paris ,pp. 811-.

كما أنه في عام 1795 م أقامت فرنسا قنصلية لها في مسقط ، وعينت بوشام pmahcuaeB في 3 مارس عام 1795 م قنصلاً فيها للتعرف على تحركات البريطانيين في الهند ، ودراسة الأحوال الداخلية في هذه البلاد ، ومعرفة الطرق التي يمكن للفرنسيين استخدامها في حالة قيامهم بأي غزو للشرق .

انظر: Skeet, I,: Muscat and Oman , the end of an Era , London, 1974, p42

وانظر : صلاح العقاد (الدكتور) : التيارات السياسية في الخليج العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 4791م ، ص ص 26-36.

(2) أحمد عزت عبد الكريم (الدكتور) : سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ومحمد علي ، مقال منشور ضمن « ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة « سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس ، القاهرة ، 0891م، ص 633 .

(3) جمال الدين الشيال (الدكتور) : مصر وطريق الهند في القرن الثامن عشر ، مقال منشور في «جريدة المقتطف المصرية « ، ج3 ، مجلد 99، رجب 0631هـ /1491م، ص ص 452-952.

وكانت فرنسا قد نجحت في عقد اتفاقية مع مراد بك في أوائل عام 5871م تسمح للسفن الفرنسية الآتية من الهند بالوصول حتى السويس ، واتفقت كذلك مع كبير ملتزمي الجمارك وبعض مشايخ العرب لنقل هذه المتاجر بين السويس والقاهرة . انظر : جلال يحيى (الدكتور) : البحر الأحمر والاستعمار ، القاهرة، 1962م، ص ص 19-21

(4) محمد عبد الحسين الحلي : عدن والصراعات الدولية في البحر الأحمر 1798-1839م ، رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، 1988م ، ص 57 ، ص ص-59 60 .

(5) شوقي الجمل (الدكتور) : سياسة مصر في البحر الأحمر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974م ، ص ص 19-20.

(6) تولي شارل ماجلون عمله كقنصل لفرنسا في مصر منذ عام 1793م ، وكان من أشد المناوئين لسياسة بريطانيا التوسعية في الشرق ، وقد استدعي بعد ذلك من مصر ليشترك في وضع الخطة لغزو مصر وغزو الهند عبر البحر الأحمر . انظر : جمال الدين الشيال : المقال السابق ، ص 254، ص ص 260-261.

(7) رأس الرجاء الصالح كان اسمه قبل هذه التسمية « رأس العواصف» وذلك لكثرة ما به من عواصف ، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه «رأس الرجاء الصالح « وذلك بعد أن نجح البرتغاليون في اجتيازه ، لأنه فتح باب الرجاء والأمل أمامهم

في الوصول إلى الهند . انظر : يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، القسم الثاني ، ص 630،حاشية 4.

(8) وليد محمد جرادات : الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر ، دار الثقافة ، الدوحة ، الطبعة الأولي ، 1986م ، ص112.

(9) شوقي الجمل : المرجع السابق ، ص 21 .

(10) نفس المرجع والمكان .

(11) عبد العزيز محمد الشناوى (الدكتور) : قناة السويس والتيارات السياسية التي أحاطت بإنشائها، ج1 ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة،1971م ، ص 17 .

(12) نفسه ، ص ص 11- 12 .

(13) , Napoleon De Histoire De Sire , La Croix .Paris,1902,p.234:

(14) شوقي الجمل (الدكتور) : تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ، مكتبة الأنجلو المصرية،1974م، ص625 .

(15) جون كيلي : بريطانيا والخليج العربي 1795.1870م، ج1، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان ، 1986م ، ص95.

(16) محمد فؤاد شكري (الدكتور) : عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ، دار الكتاب العربي بمصر، 1952م ، ص68.

(17) جون كيلي : المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 95 – 96 .

(18) لمزيد من التفاصيل عن الحلف الأوروبي الأول . أنظر : محمود حسن صالح منسي (الدكتور):تاريخ القرن التاسع عشر ، القاهرة ،1418هـ /1997م ،ص ص 50-60 .

(19) فاروق عثمان أباظة (الدكتور) : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839. 1918م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1976م ، ص80 .

وانظر كذلك : De Sire,La Croix: op.cit,pp.234-236.

(20) Graham, G.S.:Great Britain in the Indian Ocean 1810-1850,Ox ford,1976,p.73,p.282.

(21) De Sire, La Croix.: op.cit,p.236.

(22) عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق ، ص18.

(23) De Sire, La Croix.: op.cit.pp.257-258.

(24) محمد فؤاد شكري (الدكتور) : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، دار الفكر العربي (د . ت)، ص90-91 ؛ وانظر: وليد جرادات: المرجع السابق، ص121.

(25) وليد جرادات: المرجع السابق ، ص124.

(26) شوقي الجمل : سياسة مصر ، ص22، فاروق أباظة : المرجع السابق ، ص81 .

(27) محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية ؛ ص91؛ عمر عبد العزيز عمر (الدكتور) : دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980م، ص ص109-110.

(28) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص337.

(29) فقد قيل أن الفرنسيين كانوا يفكرون في أن يطلبوا الترخيص بمرور جيش فرنسي من مصر إلى الهند لمساعدة تبو صاحب سلطان ميسور الثائر على الحكم البريطاني في الهند والذي ظل متزعماً الثورة ضد البريطانيين حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . انظر :

Coupland, R.: East Africa and its Invaders,London,1938,p. 88

وانظر كذلك : جون كيلي : المرجع السابق ، ج1، ص103.

(30) Letter du general Bonaparte au Cherif de La Mecque Ghalib ibn Moussaid en date Caire Le 25aout 1798(13rebiul- ewe 1121 3)

(31) Letter du general Bonaparte au Cherif De La Mecque ,en date du quartier –general du Caire ,Le 30 juin 1799 (26 Moharrem 1214).

(32) جون كيلي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 103 – 104 .

(33) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج2 ، ط2 ، مطابع دار قريش ، 1382هـ ، ص ص 125- 126؛ وانظر : سعد بدير الحلواني (الدكتور) : العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن التاسع عشر الميلادي ، ط2، القاهرة ، 1995م ، ص 18، ص ص 26-27.

(34) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج3، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1978م،ص ص 59-60.

(35) نفس المصدر ، ص 83 ؛ وانظر كذلك : محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية، ص ص 255-256.

(36) Letter du general Bonaparte a limam de Mascate, du quartier general du Caire Le 25 janvier 1799 (28Chaban1213).

(37) وليد جرادات : المرجع السابق ، ص ص 125-126.

(38) ;Coupland, R, :op.cit,p.88

وانظر كذلك : جون كيلي : المرجع السابق ، ج 1،ص130.

(39) جون كيلي : المرجع السابق ، ص ص 103-104؛وانظر كذلك: صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص 69.

(40) Public Records Office, (P.R.O.) admirals in Letters , (ADM .I)/ 169,PP.270- 279,PP.396-398, PP.402-405

(41) كمال الدين حسين عبد الرحيم : بونابرت والقصير والمعارك الرئيسية في جنوب الصعيد ، القاهرة ، 1996م ص11.

(42) نفسه ، ص ص11-12

(43) نفسه ، ص ص46-55، ص ص 60-62.

(44) 74-Graham, G.S.: op.cit ,PP.73

(45) Bombay Archives (B.A) Secret and Political Depart- .ments,(S.P.D.) ,Diary No.57/ 1797,PP.1618-1644

سنشير إلى وثائق أرشيف بومباي فيما بعد بالاختصار : B.A

(46) فاروق عثمان أباظة :المرجع السابق ، ص 81.

(47) محمد عبد الحسين الحلي : المرجع السابق ، ص 77.

(48) شوقي الجمل (الدكتور) : سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، دراسة منشورة ضمن « ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة « ، مرجع سابق ، ص 390.

(49) .pp. 4237-4239. B.A., (S.P.D.) , Diary No ,1798 / 66

(50) De Sire, La Creix : op . cit.,pp. 257-258.

وانظر كذلك : وليد جرادات : المرجع السابق ، ص121

(51) محمد عبد الحسين الحلي : المرجع السابق ، ص77

(52) مجموعة الوثائق التركية : دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، وثيقة بدون رقم ، ترقيم 22/4/1(بدون تاريخ) ويرجح أن يكون تاريخ هذه الوثيقة هو 1798م لأن الاستعدادات العثمانية الفعلية قد بدأت في هذا العام .

(53) نفس المصدر: وثيقة رقم 12561، ترقيم 204/9/1مرسلة من السفير البريطاني في الأستانة إلى الصدر الأعظم بتاريخ صفر 1214هـ / 1799م .

(54) نفس المصدر : وثيقة رقم 12576، ترقيم 141/9/1(بدون تاريخ) ، ويرجح أن يكون تاريخ هذه الوثيقة هو عام 1213هـ / 1798م ، لأن المفاوضات بدأت بين الدولة العثمانية وروسيا في الثلث الأخير عام 1798م.

(55) Hoshins,H.L.: British Routes to India, London,1928,pp. 23-24;

وانظر كذلك : عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص 113-114

(56) Diary No. 74 (S.P.D.)/B.A.,1799,pp.1374-1375.

(57) وليد جرادات : المرجع السابق ، ص ص 122، 123.

(58) لمزيد من التفاصيل عن التحالف الدولي الثاني ، انظر :محمود حسن صالح منسي : المرجع السابق ، ص ص 64 – 67 .

(59) De Sire, La Craix: op.cit, pp259-260وانظر كذلك : محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية ، ص123-124.

(60) جون كيلي : المرجع السابق ، ج1، ص98.

(61) نفس المرجع والمكان .

(62) قامت حكومة الهند البريطانية بتعيين « هارفورد جونز» مقيماً بريطانياً في بلاط والي بغداد وإنشاء مقيمية بريطانية هناك .

(63) B.A.(S.P.D.) , Diary No.68,pp.5250-5252

(64) B.A.(S.P.D.) ,Diary No .66A/1798,pp.4237-4239;the also:Diary No . 67 /pp.4719,1798-4732

(65) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص65.

(66) محمد عبد الحميد على عثمان : المطامع البريطانية في جنوب شبه الجزيرة العربية ،رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ،القاهرة ، 1989م،ص46.

(67) B.A.,(S.P.D), Diary No.75/1799,pp.2235-2236.

(68) P.R.O.,(ADMI)178:op. cit,pp.324-325,the also:.B.A.,(S.P.D), Diary No. 75/ 1799, pp.2137-2145

(69) P.R.O. (ADMI) / 169,op.cit,pp.580-585;the also: B.A.(S.P.D.), Diary No 75 / 1799,pp. 2235-2236.

(70) George , H.B.: Historical Geography of the British Empire, P.124

انظر كذلك : فاروق عثمان أباظة (الدكتور) : التنافس الدولي في جنوب البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، دراسة ضمن كتاب « ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص361.

يذكر أن سبب تسمية مضيق باب المندب بهذا الاسم ، نظراً لخطورته ، وتعرض السفن للاصطدام بالصخور البارزة حوله ، وتحطمها ومقتل بحارتها ، حتى قيل بأن عائلات البحارة كانت تندبهم وقت رحيلهم إلى باب المندب .

انظر : وليد جرادات : المرجع السابق ، ص23.

(71) صلاح الدين البكري اليافعي : في جنوب الجزيرة العربية ، (د.ت) ص51

(72) (72)) Aitcheson, C.U.: A collection of Treaties ,Engagements, and Sanads relating to India and the Neighboring Countries , vol. XI , p 123 .

(73) B.A.(S.P.D.) ,Diary No.88/1800 , pp. 926-928 .

(74) B.A.(S.P.D.) ,Diary No.90 / 1800, pp. 1143- 1145. P.R.O, (ADMI) / 170, pp. 164-166.

(75) (75)

(76) P.R.O., (ADMI) /170, pp.176- . 187

(77) P.R.O., (ADMI) /170, pp.190-191

(78) P.R.O., ADMI /170, pp.206-207.

(79) محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية ، ص ص 401-402.

(80) كمال الدين حسين عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص88.

(81) Playfair, R. L. : A history of Arabia Felix or Yemen , Bombay Government Central Press. 1859.pp.124-126.

(82) محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية ، ص ص 395-397.

(83) جون كيلى : المرجع السابق ، ج 1، ص 114.

(84) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق ، ص 17.

(85) Marston,Thomas,E.:Britains Imperia Role in The Red

(86) Sea area,1800–1878,Copyright 1961,pp. 31–32.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 00249122094856 - 121566207
البريد إلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation